إننا عائدون أبداً

بقلم وجيه رضوان

اقسم لك يا امي اني قد نسفت بيتنا . لم اطق ان يغتصبه أفاقون فجرة ، وان تطأ تراب بيارتنا الخضراء اقدام الاباليسة . كلا ان الجلادين لا يعيشون في الحقول حيث تولد الحياة . انهم يتحصنون وراء اطلال عفنة من الجماجم . ان ضمير العالم ، يا امي ، يستشهد يومياً الف مرة ما دام هناك جلادون يسفحون قيم الانسانية ويصلبون خيرها. سفاح من اسرائيل قدم امس في مجزرة غزة ، لربه المزيف ، قرباناً من دماء النساء والاطفال، اخواني امام الله والانسانية والوطن.

فدخلنا توأ الى فلسطين ، وكنا بانتظار اللحظة الحاسمة ، لنمثل البطولة على ارضنا ، ولنعلن الى العالم انا ابداً هنا . ولا شيء يقتل فينا الارادة الحية التي تبنى الحياة . ولقد شعر العالم برمته بدخولنا ، لان الليل الرابض فوق فلسطين ، الليل الذي يستبد بسمائها قد احرقناه ببطولة خالدة . وغداً سوف يشرق نهار ابدي وسوف ينتشر النور في كل بقاعنا فلا الليل ولا العواصف بقادرة بعد ان تقتل شمسنا، لان الحقيقة الواعية قد استيقظت وقامت بعد موتها ، ولان فجر اليوم العربي بدأ يبصق في وجه غربان الاستعمار والاستبداد .

لا شيء من حولي الآن ، الا الليل .. وجراحي النازفة .. وقبرك الصامت . ولكن في اعماق هذه التربة ، في عروق هذه الارض الطيبة تنبض حياة شريفة ، وتنبثق ايام جديدة في عظمة الانبياء الذين انجبتهم .

اجل ، فوق ارض مخيمنا العاري الذليل تصنع البطولة ونشهرها في الطفاة . فداتي انا اليوم يا امي . صنعتي الموت الذي ارادوه لنا فكان موتاً بطولياً صنع الحياة .

كان الليل .. وكل شيء هدأ من حولنا، الا البطولة التي كانت تومض في ارواحنا بانتظار اللحظة الخيّرة. وكانت بيارتنا الخضراء يلمع برتقالها كالذهب تحت اضواء النجوم. ولم تكن قريتنا طيبة وادعة كمهدها، وكان مظهراً آخر من الزيف يصبغ جوها وتتلاشى مقهورة في طلائه . ولم ار المسجد القديم ، ولا الدالية التي كان يمتد في عروقها ضوء القمر ، وتعانق باغصانها الندية المئذنة العالية .

ووددت لو ان تلك النجمة الصغيرة التي تقبع ذليلة راعشة ازياء سحابة فوق الجبل ، تحكي لي عن قريتنا بعض الحكايات ، فلعلها تحمل الي ذكريات الاستشهاد الذي يجلد ارضنا .

وتلصت في الليل سياج بيارتنا القديم . ومددت رأسي من خلال الاغصان المتشابكة انظر الى بيتنا الراقد بسلام حلو وسط اشجار البرتقال، وتذكرت اياماً رائعة حلوة .

هناك على المصطبة الصغيرة، كنت تجلسين في الليالي الصافية واضواء القمر والنجوم تقطف برقة عناقيد الدالية .

وهناك الشباك المفتوح ابداً .. حيث كانت لنا مزهرية تضحك ورودها كلما راقصها النسيم وهمس لها .

وفي آخر السياج لم اجد شجرة الكرز التي زرعها ابي واستشهد قربها وزحفت عبر الليل وكياني يمتزج كله في تراب ارضنا . وعفرت وجهي في الخير المقدس الذي مات . كنت اريد ان اصل الى النقطة التي استشهد عندها ابي وحيث لم تزل دماؤه حارة في ضلوع الارض . وتحسست بيدي المرتعشة حفنة من التراب الذى امتص دماء ابي الشهيد . اتريدين هذه الحفنة الحلوة .. يا امي ؟

حسناً .. ساحفر قليلا في تراب قبرك واودعك اياها . ترى كيف انت بعد الموت ؟ وكيف حال ابي ؟

قولي له يا امي انه لم يمت . وان حياته التي تركها على الارض عادت تتم استشهاده وتنصر القضية التي دفع وجوده ثمناً لها . ان الاستشهاد قدر مكتوب على جبين الاحرار وبقدر ما تنزف جراحهم، فانهم يجعلون منها نهراً دافقاً يروي ابداً الظامئين الى الحياة والحرية . سأسقي القبر قليلاً من دمي ، عل بعض النور يشع في ليله ، ويسر الى روحك بحقيقة النضال الذي اطلقه رحمك الى الارض .

ثم نظرت يا امي الى بيتنا الذي جعله اليهود قبراً يوارون فيه دنسهم وخطاياهم .

وقفز الى ذهني خاطر مفاجيء ..

ترى ماذا يفعلون في بيتنا ؟

وهل الاله الطيب الذي كنا نعبده معاً ، هو نفسه الاله الذي يصلي له المغتصبون الجدد ؟

لقد عبقت في انفي آنذاك رائحة كريهة . تبينت فيها شميم رذيلة ، وحقد وكفر ، واجساد عفنة يضمها بيتنا الطاهر .

ان هناك رباً مزيفاً يعبدونه .. رباً نصبوه عليهم ليجلد الانسانية بهم ويجعل منهم سياطاً له .

رباً يقدمون له القرابين من دعارة الاجساد وشهوة الجرائم ودماء الابرياء. وتبينت ان اله اسرائيل اسطورة.

وانهم انفسهم اسطورة ..

اسطورة ضخمة مرعبة . مثل وحش (اوليس) ذي العين الواحدة الذي كان يأكل البشر ويشرب عليهم الخمر .

وهؤلاء يريدون ذبح البشر وزرع جثثهم في مقبره جرائمهم ليأكلوا من عطائها المعفن .

هؤلاء ابناء غير شرعيين للانسانية . احفاد كل سفاح خلقته شرور هذا العالم .

تخيلت كل ذلك في تلك اللحظة .

وتذكرت ان قبرك المنبوذ هنا في العراء .. في ارض المخيم .. يصرخ بفم الموت العظيم الراقد فيه : ان الوجود لحظة بطولة . وان الاعمال العظيمة تصنعها الارادة العظيمة .

وبتوتر شديد خاطف انطلقت يدي تقذف قنبلة .. وقنبلة .. وقنبلة. واستحال البيت الى اطلال مهدمة . واشجار البرتقال الى عيدان سوداء تحترق .

وصار كل شيء عفناً خرباً . ان من اقبح الاشياء ان تدفن نفوس شريرة في ارض خيرة .

كلا .. لا تغضي يا امي ..

لا تخافي على الله الطيب الذي كان يعيش في بيتنا وحقلنا .

الله قد مات منذ زمن .

لم اقتله انا ولا رفاقي الشجعان .

لقد دفنه اليهود مذ رأوه لاول مرة ، ورفسوا الايمان العميق به ، لان ضمائرهم تخاف الايمان .. لو عرفت الايمان .

كلا يا امي ..ما شئت ان يجدف على القيم في بلادي لصوص يسرقون خبزها وغناها .. وكنت انا اضرب باكياً في كل مكان ، استجدي بعض المال لابتاع لك نعشاً وكفناً .

وكان رمان بيارتنا يلمع مثل الذهب وانت هنا تموتين وفمك يتأوه متمنياً لقمة تتبلغين بها لئلا يشمت الجوع الذي زرع الموت فيك . وان ينتصب بيتنا الوادع هدامون غرباء وانت قد قتلك البرد والعذاب والسيول التي كانت تجتاح خيمتنا في ليالي الشتاء الطويلة .

ثم انطلقنا لنسجل انتصارات مجيدة على ارض تدعى اعتباطاً اسرائيل فسفنا المنشآت العديدة وانتقمنا ببطولة مشرفة لضحايا الاعتداء الاثيم .

لم تنم اسرائيل يومذاك . ولن تنام .

لن نجعل لدولة الغربان هذه مكاناً بعد تنعق فيه ، وتبني وجودها على تشويه البشرية ، وخنق قيمها . سوف نمسح هذا الوجود المجرم . ولن نسمح لاية قوة في العالم ان تعوق حركة تحررنا الصاعدة . لقد انتقمنا امس .

وسوف ننتقم غداً .

وسوف نعود ابداً الى فلسطين لنذكرها بوجودنا ولنسر اليها انهما من احد بقادر ان يعترض طريق نضالنا في سبيلها .

إن كل الذين باعوا فلسطين قد ماتوا

كل يهوذا في تاريخنا قد مات .

صدر حديثاً عن

دار بيروت ـ للطباعة والنشر

بناية المقاوارية ، تلفون ٣٥٩ بيروت ـ لبنان

١ ـ المسرحية

في الادب العربي الحديث

تأليف : الدكتور محمد يوسف نجم

٢ ـ شوبان

الكتاب السادس من مجموعة اعلام الموسيقى

تأليف : غي دي بورتاليس

ترجمة

خليل الهنداوي فيكتور كبه

٣ ـ سنان وصلاح الدين

قصة تاريخية

تأليف : عارف تامر

الرأي

صوت الشباب القومي العربي

- تدعو وتؤمن بالوحدة والتحرر والثأر
- تجد فيها معالجة لجميع قضاياك القومية
- تصدر صباح كل يوم اثنين وتباع في جميع المكتبات العربية

ولا صلبان بعد اليوم .

وكل اخشاب الحقد والكفر والنقمة قد حرقتها ثورة الضمير الانساني .

ان شعوب وطننا العربي قد استيقظت جميعها وقامت تنفض عنها غبار ماضيها الاسود .

ونحن اليوم في فلسطين .

وغداً في المغرب العربي .

وبعد غد سوف نكون في كل اقطار هذا الوطن .

فكلنا فدائيون ، كل ابناء الشعب العربي .

اجل يا امي .

ان الوجود لحظة بطولة . والاعمال العظيمة تصنعها الارادة العظيمة .

لقد تطوعت في صفوف الفدائيين بعد ان وعيت جيداً معنى وجودي ، وايقنت ان لا سبيل الى بناء امة عربية إلا ببذل التضحية والسعي الدائم لجمع اشلاء وطننا الممزق ، فلم أدخل فلسطين متسللاً لانسف بيتنا فقط . هذه ليست بطولة ، ان اسجل عملاً عظيماً واحداً ، فان سلسلة الاعمال العظيمة لا تنتهي في حياة الابطال .

وسوف نحرق فلسطين المغتصبة لنبني فلسطين الحرة ، ارض السلام .

ولن يرتفع صليب فوق ارضنا بعد .

ولقد كفى اسرائيل ان تقترف اكبر عمليتين اجراميتين في التاريخ : صلب المسيح واغتصاب بلادنا .

لقد شهدت فلسطين عودة مجيدة لنا . وغداً سوف تشهد شعباً يعود اليها برمته . وسوف نمهد ليوم الثأر بغارات عنيفه مفاجئة ، تدك فيها حصن الطغيان الذي اقامه الاستعمار في شرقنا العربي .

ولن نهدأ .

فقضيتنا العظيمة تدعونا ابداً الى نصرتها . ان امة برمتها بدأت تحمل شمسها وتطلقها في الليل الذي يخيم فوقها .

وانا وقبرك على موعد .

وسوف اجعل موضعه الحقيقي هناك . في اخصب بقعة ارض . في البقعة نفسها التي استشهد فوقها ابي .

يا امي :

هوذا الليل قد بدأ يشيب .. ولقد انهكت جسدي الجراح .. وسأغفو الآن قليلاً فوق قبرك .

وقبل ان احييك يا امي .. احب ان اهمس لك :

اننا عائدون غداً مع الصباح ...

اجل يا امي .. اننا عائدون ابداً .

بيروت وجيه رضوان